

مأساة فلسطين

وأثرها في الشعر المعاصر

بقلم

الدكتور جميل سعيد

عميد كلية الآداب بجامعة بغداد

بحث قدم الى مؤتمر الادباء العرب الخامس

١٥ ـ ٢١ شباط ١٩٦٥

بغداد

مطبعة العاني ـ بغداد





مأســـاة فلسطين

وأثرهـا في الشـعر المعاصر

بقلـم

الدكتور جميل سعيد

عميد كلية الآداب بجامعة بغـداد

بحث قدم الى مؤتمر الادباء العرب الخامس

١٥ ـ ٢١ شباط ١٩٦٥

بغـــداد

مطبعة العاني ـ بغداد

مقدمة البحث

هذا بحث سريع موجز « لمأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر » عرضت له بعد ان اطلعت على بحوث قليلة كتبت فيه . وقد اشرت اليهـا في اماكنها من بحثي هذا .. ودفعني الى الكتابة فيه ان البحوث الادبيـة القليلة التي سبق ان قرأتها فيه ، قد كتبت باسلوب عاطفي تخاطب به القلوب قبل العقول . وماذا تنتظر من احاديث كتبت عن العسف والظلم ، والتشريد والحبس ، والشنق والقتل ، والنفي والطرد من الوطن . ثم العيش ــ بعد هذا كله ــ في خيام بالية يتصدق على اللاجئين بها ظالموهم ببلغة العيش ، ويعيشون غير بعيد من بيوتهم وحقولهم واراضيهم . وتظل عيونهم معلقـة بوطنهم الذي شردوا منه ، وظل ينعم بخيراته ظالموهم واعداؤهم !؟

وزاد في فداحة هذه المآسي في نفسي ان كان لي من اهل فلسطين اصدقاء استمعت اليهم يقصون قصصهم بألفاظهم ودموعهم ؛ يحدثون كيف اعجلوا وتركوا قدورهم على النار ، وخرجوا جياعا مسرعين ، لا يحملون من بيوتهم زاد المسافر الراحل .

وزاد في عذابهم انهم توهموا ، ساعة اخرجوا ، « انهم عائدون » . ثم توالت الايام والاسابيع والاشهر والسنين ، ونشأ جيل اخر منهم يحدثه آباؤه اللاجئون أهل الخيام بأنهم كانوا وكان ...

ودفعني هذا وهذا الى الحديث عن « مأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر » . ورحت ابحث عن هذا الشعر وعن دواوين الشعراء ، وعجبت الا اجد شيئا منها في اسواق الوراقين في بغداد . واتجهت الى المكتبـات

العامة والخاصة فلم اجد فيها الا القليل • وبعثت اطلبه من مكتبات الاردن والقاهرة ، فلم احصل على بغيتي منه •

لقد زادني هذا اهتماما وتشبثا في البحث • ورجوت ان يكون مما ينبه اليه مؤتمرنا هذا ان تنشأ في كل بلد عربي « مكتبة » يجمع فيها كل ما كتب عن فلسطين ، ويكون التزود من هذه الكتب ـ ولا سيما ما يخاطب القلوب منها ـ زادا يبعث اليقظة والحماس في نفوسنا ، لنصرة اهل فلسطين وعونهم في استرداد وطنهم المغصوب وحقهم السليب •

اما بحثي هذا فقد رأيت ان يبحث في حلقات ، تكون اولاها في أثر مأساة فلسطين في شعر اهل فلسطين انفسهم ، وتكون الثانية في اثر المأساة في شعر الشعراء العرب عامة ، وتكون الثالثة في أثرها في ادب الادباء من المسلمين من غير العرب ، من الفرس والترك والهنود وغيرهم ـ اولئك الذين هزتهم فداحة المأساة فكتبوا فيها نظما ونثرا •

ثم تكون الرابعة في بحث اثرها في غير المسلمين وغير العرب ؛ اولئك الذين رأوا في « مأساة فلسطين » مأساة انسانية ، لا تقتصر على وطن او جنس او دين وقد هزتهم المأساة فكتبوا فيها •

وقد قصرت حديثي الان على مأساة فلسطين واثرها في شعر الفلسطينيين خاصة ، وعسى ان يكون بحثي هذا مقدمة لغيره من بحوث يكتبها غيري او اكتبها انا في القريب ان شاء الله •

واعتذر للحاضرين من الزملاء الذين لا يرون فيه جديدا ، وحسبي وحسبهم منه هذه الروح التي كتبته بها •

جميل سعيد

الاعظمية ـ في ١٣ـ٢ـ١٩٦٥

فلســـــطين

موقعها • فتحها • اهميتها عند العرب

قال ياقوت في معجمه[1] : « فِلسْطين بالـكسر ثـم الفتح وسـكون السين ، وصاد مهملة ، وآخرها نون في آخر كور الشام من ناحية مصر ، قصبتها البيت المقدس ، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة، وغزة وارسوف، وقيسارية ونابلس واريحا ، وعمان ويافا وبيت جبرين » •

هـكذا كانت فلسطين أيام تحدّث عنها ياقوت • وواضح انهـا غيرهـا الآن ، وقال : « واكثرها جبال والسهل فيها قليل » • وفلسطين منفذ جزيرة العرب الذي تطل منه على البحر الابيض المتوسط • وبها تتصل آسيا العربية بافريقية العربية • وهي تتوسط بلاد العرب وتقع منها موقع القلب فهي عين بلاد العرب وقلبها • ثم هي ـ بعد هذا ـ مركز تجاري هام يصل اوربا باسيا •

وتحدث ابن الأثير[2] عن الفتوحات العربية الاسلامية سنة خمس عشرة للهجرة ، فقال : « في هذه السنة فتحت بيت المقدس ، وقيل سنة ست عشرة في ربيع الاول » •

وفلسطين هذه قبل ان يفتحها العـرب كانت لها مكانـة وقدسية في نفوسهم ، لقـد كانت قِبلة المسلمين الاولى واليها توجهـوا قبـل المسجد الحرام[3] ، وفي الطبري في تفسير قوله تعالى : « قد نرى تقلّب وجهك في

---

(١) معجم البلدان ص ٩١٤ طبعة لايبزج سنة ١٩١٤ •
(٢) الكامل ج٢ ص ٣٤٧ •
(٣) تفسير الطبري ج ٣ ص ١٧٢ •

السماء فلنولينك قبلةً ترضاها ، فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام » قال الطبري : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي نحو بيت المقدس وكان الناس يصلّون قِبَلَ بيت المقدس ، واستقبله النبيّ ستة عشر شهرا .

وفي تفسير روح المعاني للألوسي[1] في الحديث عن الآية الكريمة نفسها « .. أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن البراء قال : صلينا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس » . والى المسجد الاقصى الذي اشارت اليه الآية الكريمة : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » كان اسراء الرسول ومعراجه . ولقدسيته في نفوسهم فسروا لفظة : « الأقصى » بقولهم : « ليس وراءه موضع عبادة ، فهو ابعد مواضعها » وقيل في « الاقصى » بعده عن الاقدار والخبائث[2] . ومما فسروا به قوله تعالى ، قولهم : « وبركته مما خصّ به من كونه متعبد الأنبياء عليهم السلام وقِبلة لهم »[3] وقالوا في « باركنا حوله » جعلنا البركة فيما حوله بان جعلناه مقر الانبياء ومهبط الملائكة .. وبذلك صار مقدسا عن الشرك ، لانه صار متعبّداً للأنبياء ودار مقام لهم »[4] .

وروى البخارى ومسلم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ عن ابي هريرة : « لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » .

وفي روح المعاني[5] .. (اخرج أحمد وابو داود وابن ماجه عن ميمونة مولاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ انها قالت : يا نبيّ الله افتنا في بيت المقدس ، قال : أرض المحشر والمنشر ، إئتوه وصلّوا فيه فان صلاة فيه بألف صلاة) .

---

(١) روح المعاني ـ للالوسي ج ٢ ص ٧ .
(٢) المصدر نفسه ج ١٥ ص ١١ .
(٣) المصدر نفسه ج ١٥ ص ١١ .
(٤) مجمع البيان ـ للطبرسي ج ١٥ ص ١١ .
(٥) روح المعاني ج ١٥ ص ٩ .

هذه هي النظرة الدينية ، او النظرة المقدسة الى المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وفلسطين . اما النظرة الدنيوية اليها فقد اقترنت بالنظرة الدينية ، فهي عندهم جنة الأرض وان الله سبحانه انعم عليها بما ميّزها على غيرها من الكثير من البلدان ، حتى ذهب المفسرون في تفسير قوله تعالى « باركنا حوله » في الآية الكريمة السابقة الى قولهم : اي جعلنا البركة فيما حوله من الأشجار والثمار والنبات ، والأمن والخصب ، حتى لا يحتاجوا الى ان يجلب اليهم من موضع آخر[1] . وكأن الزمخشري رحمه الله ـ لخّص في كشّافه أقوال المفسرين في الآية الكريمة « باركنا حوله » فقال[2] : « يريد بركات الدين والدنيا ؛ لانه متعبّد الأنبياء ... ومهبط الوحي . وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة » .

وقال في موطن آخر من الكشاف[3] « وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين » وارض فلسطين هذه كانت متغنّى الشعراء . وقد اشتهرت مدنها بالخمر[4]، وادارها الشعراء ، ـ ولا سيما شعراء الخمر ـ في اشعارهم .

---

(١) مجمع البيان ـ للطبرسي ج ١٥ ص ١١ .
(٢) الكشاف ج ٢ ص ٦٤٨ .
(٣) الكشاف ج ١/ ٦٢٠ .
(٤) انظر مدن فلسطين في معجم البلدان ـ لياقوت .

حالتها السياسية والاجتماعية

قبيل استعمارها وثورتها ونكبتها

وظلت فلسطين بلداً عربياً ، اسلاميا ، حتـــى اذا آل الحكم الى العثمانيين ، في اوائل القرن السادس عشر واسسوا ملكهم ، وحكموا البلاد العربية ، كانت فلسطين واحدة منها •• وظلوا كذلك حتى أوائل القـرن العشرين حين نشبت الحرب العالمية الاولى •

وسارع العرب ــ وكانوا قد ذاقوا العسف والظلم من العثمانيين ــ الى الثورة عليهم ، والانضمام الى اعدائهم ، الانكليز والفرنسيين • واعلنـوا الثورة التي بدأت في الحجاز سنة ١٩١٦ وما لبثوا أن أتجهت كتائبهـم الى الشام فاحتلت من مدنها معان ودرعا وفي أول أكتوبر سنة ١٩١٨ دخلت دمشق ، وتوغلت في سوريا وانضمت اليها حمص وحما وحلب • كـان الجيش العربي يزحف من الشام وكان الجيش الانجليزي يزحف من مصر متجهاً الى فلسطين يحتل مدنها • وفي ديسمبر سنة ١٩١٧ دخل اللنبي مدينة « القدس » ثم واصل زحفه محاذياً ساحل البحر الأبيض المتوسط • وفي انتصاراته هناك انتهى حكم العثمانيين من بلاد الشام وغيرها من بلاد العرب •

وتوّهم العرب أن فجراً جديداً سيطلع عليهم ، فتكون لهم بلادهم يحكمونها ويديرون أمورها ، ولكن سحب الخيبة حامت في سمائهم ساعة دخول هذا العلج الى بيت المقدس واعلانه أن الحروب الصليبية قد انتهت الآن • وليت الانكليز اعتبروا الفتح امتدادا للحروب الصليبية ، وحكموا

هذا البلد كما حكموا غيره من مستعمراتهم العربية وغير العربية • لقد بدأت محنة فلسطين ساعة دخولهم فيها ، وبدأت مأساتها ومأساة العرب فيها ، بشكل لا نعرفه في التاريخ لأمة من الأمم ولا لبلد من البلدان •

وما دام الأمر يتعلق بالانكليز ، فالأولى أن نلخص الأحداث تلخيصاً سريعا على نحو ما لخصه كتاب الانكليز ومؤرخوهم ، فهو ادعى الى انصافهم - ان كانوا على شيء من الانصاف • يقول البروفسور آرنولد توينبي ، أشهر مؤرخي القرن العشرين ومدير المعهد الملكي للأبحاث الدولية في بريطانية ، واستاذ الدراسات الدولية في جامعة لندن ، يقول : « ان الدولة الغربية التي تتحمل حصة الأسد في المسؤولية عن الخيبة في فترة ما بين الحربين ، لانقاذ الموقف في فلسطين هي بريطانية ، التي كانت اولاً الدولة المحتلة ، ثم كانت الدولة المنتدبة • وقد ادارت شؤون الانتداب من سنة ١٩١٧ - ١٩٤٧ • وفي خلال هذه السنين الثلاثين الحرجة ، كان موقف الحكومة البريطانية الشامل لجميع الاحزاب والذي طبقته جميع الحكومات المتتابعة هو التعامي المقصود الجدير بالادانة •

فمنذ البداية حتى النهاية لم يكن في تفكير البريطانيين أية خطة عملية لاقرار الامور سلميا في وضع فلسطين غير المستقر ، القابل للانفجار ، والذي أوجدته بريطانيا بتروٍ وتعمّد •

وان الحكومة البريطانية لم تحاول اقرار الامور في نصابها حتى بالنسبة لعدد السكان من ناحية عنصرهم كيهود وعرب الى أن سمح للاقلية اليهودية بأن تصبح كبيرة في عددها ؛ أصبحت الى ما يقرب من ثلث مجموع السكان[١] •

وقال : « ان الكثير من المسؤوليات الناتجة عن اعمال الصهيونيين ، والفلسطينيين العرب في سنة ١٩٤٨ يقع على عاتق بريطانية العظمى • وقد

---

(١) مقال توينبي ص ٤ نشرته الامانة العامة لجامعة الدول العربية •

سبق لي أن قلت هذا وبينته • ان بريطانية باعتبارها الدولة المنتدبة قد استعملت قوتها لتجعل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، على مدى لا يمكن أن يقبله السكان العرب في البلاد بأختيارهم أمراً ممكناً ، ولانها رفضت باستمرار مواجهة الحقائق في انها كانت تتبع سياستين متناقضتين في آن واحد ، وانها برفضها الاختيار بينهما كانت تدفع فلسطين نحو الكارثة بخلقها موقفا أصبح معه عيش العرب واليهود جنبا الى جنب في فلسطين امرا يزداد صعوبة وحراجة[1] •

وقد يتوهم متوهم ان الاستاذ توينبي ، قد حابى العرب في كلامه هذا ، فننقل اليه قوله أيضاً ، يقول « ومع أني في كلتا الحربين العالميتين خدمت موظفا موقتا في وزارة الخارجية ، لم اعمل قط في مجال موال للعرب ، وكنت على الدوام معارضاً ، بصورة شخصية ، للسياسة البريطانية بشأن فلسطين »[2] •

ولنجلو الحالة التي أجملها الاستاذ المؤرخ بشيء من التفصيل فنبين به كيف سارت هذه الأحداث نورد ما أوردته الكاتبة الانكليزية الشهيرة ايثل مانن Ethel Mannin وجعلته مقدمة لقصتها الطويلة « الطريق الى بئر السبع » •

قالت : الى اليوم التاسع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٧ كان هناك بلد يسمى فلسطين ، وهو الوطن العتيق للفلسطينيين القدامى • وهو بلد عربي الصبغة بصورة واضحة •

وحين صدر اعلان « بلفور » في شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ مؤذنا بأن الحكومة البريطانية تؤيد قيام وطن قومي لليهود في فلسطين كانت أغلبية السكان هناك من العرب • كانوا بنسبة تزيد على ٩٠٪ على التسعين بالمائة من مجموع السكان • وكان في فلسطين في ذلك الوقت نحوا من خمسين

(١) المقال نفسه ص ٥ •
(٢) المقال نفسه ص ٤ •

الف من اليهود • اما المسلمون والمسيحيون فكان عددهم وقتذاك نحو ستمائة وسبعين الفا •

كان السير هربر صموئيل اليهودي الصهيوني البارز قد دعا سنة ١٩١٥ بمذكرة بعنوان (مستقبل فلسطين) الى هجرة ثلاثة أو اربعة ملايين من اليهود الى فلسطين تحت الحماية البريطانية ، ومن هنا وضحت مطامع الصهيونيين ، وظهر ان ما يرومونه لم يكن موطناً يلوذ به ضحايا الاضطهاد من اليهود في مختلف البلدان ، وانما كان هدفهم اقامة دولة يهودية تامة الأركان •

وصدر اعلان « بلفور » بعد ذلك بثلاث سنوات تقريبا ، فرأوا ان عدد اليهود في فلسطين اقل بكثير مما قدروا وحسبوا • وكان الحل البديهي في نظر اليهود هو زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين الى حد يصبح معه اليهود اغلبية في السكان هناك •

وفي سنة ١٩١٩ اصدر الزعيم الصهيوني الدكتور « وايزمان » تصريحه المشهور الذي قال فيه : « ان فلسطين ينبغي ان تغدو وان تعتبر يهودية مثلما تعتبر انجلترا انكليزية » وفي سنة ١٩٣٠ تجسم اعلان بلفور في صورة الانتداب الانكليزي على فلسطين •

كان العرب يوم قاتلوا في صفوف الحلفاء ضد الاتراك في الحرب العالمية الاولى ، قد اعتقدوا انهم انما يحاربون في سبيل استقلالهم ، على انهم ما لبثوا ان وجدوا انفسهم يعوّضون عن استقلالهم بان ينكبوا بالانتداب الانكليزي والفرنسي • وراحت الهجرة اليهودية تتدفق الى فلسطين ، وجهد العرب جهدهم في التحكم بها ، ولكن الهجرة غير المشروعة ظلت تتزايد عن طريق مكتب يزوّر الجوازات في « برلين » •

وازدادت مقاومة العرب لهذا ، وهاجوا واضطربت البلاد وفرضت عليهم الأحكام العرفية ، وواصلوا كفاحهم الوطني في سبيل استقلالهم ••

ونشبت الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن الوطن القومي لليهود قد تحقق ، ولكن تعدادهم قفز من خمسين الف الى ستمائة الف . وكانت حكومة الانتداب قد منحت اليهود سيطرة متزايدة على مقدرات البلد الاقتصادية . لقد جعلت الصناعات الصهيونية تتمتع بحماية الحكومة على حين راحت تدمر القرى العربية لتفسح الطريق الى المستعمرات الصهيونية . وصار لليهود مستشفياتهم ومدارسهم ومنظماتهم السياسية ، وهكذا صاروا يتمتعون بحماية تحيزية من حماتهم البريطانيين .

وكما كانت الحرب العالمية الاولى سبباً في اعاقة المطامع الصهيونية ، كانت الحرب العالمية الثانية سببا في اعاقة آمال العرب الوطنية . وقد ثبت ان اضطهاد النازيين لليهود في المانيا كان سندا قويا للصهيونية ...

وتألفت لجنة انكليزية امريكية ـ كان ثلاثة من اعضائها الستة من غلاة الصهيونية زارت فلسطين سنة ١٩٤٦ واوصت في تقريرها بادخال مائة الف يهودي اليها فورا . واستعجل الرئيس ترومان بتنفيذ وصيتها وترك الباب مفتوحا لزيادة الهجرة اليها في المستقبل .

وفي سنتي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ انعقد مؤتمر فلسطين في لندن ولم يصل ممثلوه الى اتفاق ؛ ذلك لان ممثلي العرب طالبوا ان تقوم في فلسطين دولة عربية ديمقراطية مستقلة ، ومن هنا احيلت (قضية فلسطين) الى « الامم المتحدة » . وخصصت دورة غير عادية للفصل فيها . وتحت الضغط الصهيوني الذي تؤيده الولايات المتحدة اوصت اللجنة الخاصة التي الفتها الامم المتحدة لشؤون فلسطين بتقسيم ذلك البلد .

وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قامت الجمعية العمومية بمنظمة الامم المتحدة المنعقدة في واشنطن باقرار تقسيم فلسطين يؤيد التقسيم ثلاثة وثلاثون صوتاً ، ويعارضه ثلاث عشرة صوتا ، وامتنع عن التصويت عشر دول ، كانت بريطانية واحدة منها . وفي مذكرة ترومان حديث عن الضغط الصهيوني ، وعن الاساليب التي استخدمت للحصول على هذه الاكثرية

الساحقة ، يقول : « لقد تعرّضت الولايات المتحدة لضغط لم يكن له مثيل من قبل ، وما سبق للبيت الابيض ان تعرض لمقدار من الضغط والدعاية على نحو ما تعرض له في هذه المناسبة • ولقد ازعجني وضايقني الحاح بضعة من زعماء الصهيونية المتطرفين مدفوعين بعوامل سياسية ، مستخدمين التهديدات السياسية ، حتى وصل الامر ببعضهم الى ان الحّ علينا بان نضغط على الدول الكبرى لتقف الى جانبهم عند انعقاد الجمعية العامة » •

وصرح « روبرت نوفيت » نائب وزير الخارجية بانه لم يتعرض في حياته ابداً لمثل ذلك الضغط الذي تعرض اليه في اثناء المراحل النهائية للتصويت •

واعطت خطة التقسيم التي اقرتها منظمة الامم المتحدة ٦٠٪ من فلسطين – وبها اخصب المناطق – لثلث السكان وهم اليهود • اما المليون من الفلسطينيين وهم كل سكانها تقريبا ، فقد انتزعوا من اراضيهم وجردوا من املاكهم خلال الحرب التي نشبت بين العرب واليهود على أثر ذلك القرار •

وضُمّ ما تبقى من ارض فلسطين العربية على الضفة الغربية لنهر الاردن الى شرق الاردن ، الى المملكة الاردنية الهاشمية • اما الشريط الضيق المتاخم لساحل البحر الابيض والبالغ طوله خمسة وعشرين ميلا وعرضه خمسة أميال وهو كل ما تبقى من ولاية غزة ، فقد قامت مصر بادارته • وقد منح الرئيس ناصر في سنة ١٩٦٢ تلك المنطقة دستورا للحكم• وهذه المنطقة لا تزيد على ان تكون معسكرا فسيحا للاجئين •

ومن بين المليون من الفلسطينيين الذين فروا من بلادهم نتيجة للارهاب الاسرائيلي – الذي من امثلته مذبحة دير ياسين في سنة ١٩٤٨ – والذين طردوا من ديارهم – وهذا ما ينكره الصهيونيون رغم الادلة القاطعة – من هذا المليون يعيش اكثر من نصف مليون من اللاجئين في اسوأ حال • يعيشون في تلك المعسكرات التي تمدها الامم المتحدة بالمعونة منذ أواخر سنة ١٩٤٩ الى الآن • اما الباقون فقد استوعبتهم بلاد كريمة

احرى • وطن هؤلاء وهؤلاء يطالبون باستعادة وطنهم واعادة اسكانهم • وما من احد منهم سواء اكان ممن في المعسكرات ام في خارجها قد حصل على فلس واحد تعويضاً له عن بيته او ماله أو أرضه التي اغتصبها اليهود •

ان الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة تكرر كل عام تأييدها وتاكيدها لحقوق عرب فلسطين اللاجئين في العودة الى بلادهم ، وتؤكد تأييدها للتعويض الكامل لمن لم يرغب في العودة الى حيث يكون مواطناً من الدرجة الثانية في دولة يهودية • ان الجمعية العامة تؤكد قرارها هذا كل عام ، ولكن قرارها هذا لم يوضع قط موضع التنفيذ • ان مسز جولدا ماير وزيرة الخارجية الاسرائيلية قد اعلنت ما هو على النقيض من هذا ، قالت : « انّ سياستنا لم تتغير • فنحن لن نقبل لاجئاً واحدا ابداً » •

حالتها الثقافية

وسكان فلسطين عرب قبل ان يفتحها العرب المسلمون • كانوا عربا اندفعوا اليها بموجات متتابعة من جزيرة العرب • واسسوا فيها ممالك ودولا ، ومن هؤلاء الانباط ، ومنهم الغساسنة الذين كانوا مقصد الشعراء العرب في جاهليتهم • ولا نرانا بحاجة الى الحديث عنهم او التفصيل في أخبارهم لشهرتهم بين قراء العربية •

ولم ينقطع مدد القبائل العربية النازحة اليها المتجولة في ارضها بعد الفتح الاسلامي ، ولا تزال الى اليوم بها القبائل العربية التي تحيا حياة البدو متجولة وهي تحتفظ بانسابها وصلاتها بالقبائل العربية الاخرى ، بالحجاز ونجد ومصر • ومع ان أهل فلسطين عرب يتحدثون باللغة العربية، فان الدراسة فيها أيام العثمانيين كانت باللغة التركية شأنها في هذا شأن الكثير من البلاد العربية الاخرى •

وباحتلال الانكليز لها عام ١٩١٨ انشئت بها مدارس عربية ، ويهودية • أما المدارس اليهودية فقد تركت لليهود يتصرفون بادارتها ، واما العربية فقد اشرفت على ادارتها حكومة الانتداب ، وجعلت لغة التدريس بها العربية • وقد كان بها في سنة ١٩٢٠ ، ٢٢٤ مدرسة • ولم يقنع العرب من سكان فلسطين بالقدر الذي كانت تنشؤه حكومة الانتداب هذه بل راحوا ينشئون المدارس الاهلية فكان لهم عام ١٩٤٥ قبيل نكبتهم أكثر من ثلاثمائة مدرسة أهلية • وكان عدد الاطفال الذين يعرفون القراءة في المدن يتراوح بين ٤٠ ـ ٤٥٪ من مجموع السكان ، وهي أعلى نسبة في البلاد العربية ، باستثناء لبنان •

كانت أغلب المدارس الحكومية ابتدائية ، وقد سد العرب النقص في التعليم العالي بان اتجهوا الى لبنان ومصر يدرسون بهما الدراسة العالية •

وشجعهم على هذا ان رأوا اليهود يتعلّمون بالجامعة العبرية التي انشئت منذ عام ١٩٢٥ .

ويظهر ان العرب الفلسطينيين كانوا يجدون انفسهم في تسابق ثقافي مستمر مع اليهود الذين تدفق سيلهم وباءً على فلسطين من البلاد الغربية المتحضرة فراحوا لا يكتفون بما تنشؤه لهم حكومة الانتداب وهي الحكومة الموالية - في كل مراحلها - لليهود . وجاء في كتاب « التربية في الشرق الاوسط الذي أخرجه مجلس التعليم الاميركي سنة ١٩٤٦ ، للدكتور ماتيوز والدكتور عقراوي »[١] .

« وليست ادارة المعارف وحدها هي التي تتولى الانفاق على التعليم العام في المدارس العربية ، فنظرا لقلة الاموال المخصصة للمباني المدرسية في القرى ولرفع مرتبات المستجدين من المدرسين اضطر سكان القرى في حالة احتياجهم الى مدارس جديدة ان يجمعوا الاموال لتشييد مبانيها ولشراء معداتها ، ولرفع مرتبات المستخدمين من معلميها . وقد بلغت الاموال التي جمعتها سلطات القرى من ابريل سنة ١٩٤١ - سنة ١٩٤٥ (١٢٠١/٣٢٠) جنيها فلسطينيا ... ولا تدفع الحكومة شيئا لشراء الاثاث لمدارس القرى . ولكنها تساهم في شراء بعض الكتب الدراسية » .

---

(١) ص ٢٨٠ .

فلسطين والشعر العربي

ومع أننا بينا ان فلسطين كانت عربية قبل ان يدخلها العرب المسلمون ، وان العربية لغتها ، وان اهلها كانوا من أحسن البلاد العربية ثقافة وتعليما في عصرنا هذا .

مع هذا فنحن لا نجد في فلسطين شعراء لهم شهرتهم ومكانتهم في الادب العربي القديم .

لقد عرض السيد كامل السوافيري لهذا[1] وبين انه يريد ان ينقض خطأ شائعا وقع فيه بعض الكتاب الذين تناولوا الحياة الادبية في فلسطين واصدروا حكمهم المتضمن أن البلاد لم تنتج في عصور الادب الماضية أدباء ... وحاول ان يعدد الشعراء والكتاب ، فذكر كشاجم الرملي ، نسبة الى مدينة الرملة البيضاء الواقعة بالقرب من مدينة يافا وبين ان الشاعر قسم أيامه بين مصر والرملة وحلب ، وكان شاعرا لابي الهيجاء ولابنه سيف الدولة . وذكر الغزى ابا اسحق المتوفى سنة ٥٢٤هـ بمدينة ، بلخ ، بخراسان . وعلل قلة الشعر بان فلسطين لم تكن وحدة سياسية مستقلة في عصر من العصور ،وانها لم تكن مركزا لخليفة أو سلطان مدة طويلة من الزمن حتى يحفظا المواهب الادبية في شعبها . وان البلاد لم تشتهر بالرخاء الاقتصادي ، بله الترف الذي نعمت به العراق والشام ومصر والاندلس .

ونحن لا نرى في هذه الاسباب ما نقتنع به ، بل عندنا أن السبب الاخير ؛ وهو عدم توفر الرخاء الاقتصادى ، بله الترف ، كان ادعى لاثارة العواطف واهاجتها وانطاق الالسنة بالشعر . وان الضيق والحزن يكونان

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٥١ .

أكثر أهاجه للنفوس من الترف والسرور • ولست أود ان افصل في هذا الآن ، على اني أود ان اشير الى ناحية سبق ان اشار اليها الغربيون •

مر بنا قول ياقوت[1] عن فلسطين : « ان أكثرها جبال والسهل فيها قليل » ، وربما كان هذا من أسباب قلة الشعراء فيها ، ان الغربيين قاموا ببحوث دلت على الأثر البالغ الذي تلعبه البيئة الجغرافية في شاعرية سكانها • لقد عزا هاينرش فون تراتشكه في كتابه السياسة[2] خلو سويسرا وخلوا الاراضي الالبية المرتفعة من التطور الفني والشعري ، الى منظر الطبيعة العنيف هناك ، وقال « ان جلالها المهيب هو الذي يشل العقول » وقد عزز رأيه هذا بأن رأى ان أهل التلال والجبال التي يقل ارتفاعها عن الالب كأهالي سوابيا وتورونجيا ، حيث تكون الطبيعة هناك الطف وأهدأ ، وحيث تكون منبهة منشطة في غير ما عنف ، كما في سويسرا • هذه الطبيعة ـ على حد رأيه ـ قد خلقت كثيرا من الشعراء والفنانين • وفي كتاب سمبل[3] تعقيبا على رأيه هذا : « وهذه حقائق لا تقبل الجدل ولا الاخذ ولا الرد فيها » ووجد مثل هذا في فرنسا أيضا • فالطبيعة الفنية تنقص أهل أرض سافوي العالية • وتنقص مقاطعة الالب وتنقص الجهات الشرقية من البرانس كما تنقص شبه جزيرة بريطانيا، على حين تكون الطبيعة الفنية مواتية ، ويكون الفن مزدهرا في أهل انهار الاراضي الواطئة في فرنسا • وقد وجد ان الكتاب الانشائيين وكتاب الرسائل الفرنسيين عامة ـ هم من أهل أرض الانهار او من أهل السهول، وقل أن يكونوا من سكان الاراضي العالية أو الجبال • واذا نحن نظرنا الى العراق بلدنا على نحو ما نظر الغربيون الى بعض اقطارهم ، رأينا الشعر

---

(١) انظر ص (٣) من هذا البحث •

(٢) انظر كتاب :
Semple : the influence of the Geografic Environment page 32

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة •

يزدهر في الاراضي السهلية الخصبة التي غمرتهـا مياه ، الانهار ، فالعراق في جنوبه أكثر سهولة ومياها منه في شماله ، وهو كذلك في فنه وشعره . ان الجنوب أكثر فنا وشعرا من الشمال ، وان بغـــداد وما حولهـا الآن يتغنى أهلها في حفلاتهم ومراقصهم العامة باشعار أهل الجنوب . لقد أهمل النقاد العرب هذا ، وربما صرفهم عنه انهم رأوا ان الشعر له صلة بالوراثة ، وان الأب الشاعر قد يولد ولدا شاعرا ، ويظهر ان نظرهم الى زهير بن ابي سلمى ، وحسان بن ثابت ، ورؤبة ، وابن المعذل ، وابن ابي حفصة وابني الشيص وابنه ، هو الذي جرّهم الى هذا الرأي . يروى صاحب العمدة[1] ان الفرزدق مر يوما بمضرّس الفقعسي ، وهو غلام حديث السن ، ينشد الناس شعره ، فحسده على ما سمعه منه ، وقال له ــ بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح : « أدخلت أمك البصرة ؟ » وفهم عنه مضرس ما أراد ، فقال: «كلا ولكن ابي» ورجع الى الانشاد . فخجل الفرزدق . ويقولون ان أبا السمط مروان الاصغر بن ابي الجنوب بن مروان بن ابي حفصة عرّض بعليّ بن الجهم بقريب من هذا حين قال :ــ

لعمرك مالجهم بن بدر بشاعـر   وهذا عليٌ بعده ينظم الشـعرا
ولكن ابي قد كان جارا لاهلـه   فلما تعاطى الشعر أوهمني امرا

هذا عامل البيئة الطبيعية او الجغـــرافية ، وعندنا ان عامل البيئة الاجتماعية قـد يـكون أهـم من هذا . ان الامم قـد تعبر الحقب والدهور ولا شعر لهـا ، حتى اذا هاجتها الحرب وهزتهـا النكبات والمصائب نطقت بالشعر ، وهذا ما سنتحدث عنه . وان نظـرة الى ما انتجـه الشـعراء ممـا يتعلق بقضية فلسطين أو نكبة فلسطين لترينا انه يعادل ــ كثرة وجودة ــ ما قاله العرب في عصور .

---

(١) العمدة جـ ١ ص ٥٤ .

الحرب والشعر

يرى بعض الباحثين ان الحرب ينبوع الشعر ، ومبعثه في الامم عامة ، وان الامة قد تعيش الدهور ، ولا شعر لها حتى اذا اشتبكت في خصام وحروب داخلية ، او خارجية ، جاشت عواطفها وانفجرت بالشعر . وقد قادهم الى رأيهم هذا ان وجدوا أن الامم التي وصلتنا اشعارها انما تغنت بالشعر على أثر حروبها .. وفي قصة الأدب في العالم[1] « ان أول أغنية كانت في تأريخ الأدب اغنية حربية تغنى بها الظافرون » وعللوا هذا الرأي أو وضحوه بان قالوا: «كان الرقص أو ماظهر من الفنون؛ فاذا ما ارخى الليل سدوله على انسان العصر الاول رقص الراقصون حول نار يشعلونها ليمرحوا ويفرحوا بعد ما اصابوه من ظفر ونصر على اعدائهم في ساعات النهار . وانهم في رقصهم هذا يصيحون ويصرخون من نشوة الطرب ، فلا تلبث تلك الصيحات والصرخات ان تتماسك اجزاؤها ، وتنسجم نغماتها بحيث تناسب توقيع الرقص . وهكذا كانت اول اغنية بدأت في تأريخ الأدب ؛ اغنية حربية تغنى بها الظافرون » .

هكذا توهم الكاتب او هكذا تخيل ـ تخيل الغالبين يمرحون حول النار فيرقصون ويصرخون مرحا وفرحا ومن صيحات الفرح تكونت اول اغنية . ترى ماذا يكون خيال الكاتب لو اتجه الى المغلوبين ؟ ان الرقص ينبعث من المغلوب أيضا « والطير يرقص مذبوحاً من الالم » والامم في أطوار بداوتها تضطرب راقصة على قبور الموتى ـ وهل الندب الا ضرب من الايقاع او ضرب من الرقص يقوم به الحزين تنفيساً عن احزانه وتعبيرا عنها ، كما يعبر الراقص في ايقاعه عن افراحه ؟ . والعرب لم يفرقوا بين الرقص

---

(١) تاليف احمد امين و زكي نجيب محمود جـ١/٢٠ .

يقيمه الحزين والرقص يقيمه الفرح • ولقد عبروا عن الحالين بلفظ واحد • وفي القاموس المحيط : « الطرب خفة تلحقك تسرك أو تحزنك ، وتخصيصه بالفرح وهم » ومن هنا صرنا نراهم يستعملون اللفظ للتعبير عن الحزن أكثر من استعمالهم يعبرون به عن الفرح - يقول جرير[1] :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا   وقطّعوا من حبال الوصل اقرانا
قد كنت في أثر الأظعان ذا طربٍ   مروّعاً من حذار البين محزانا

واذا ذهبنا الى العواطف نستقصي حالة اضطرابها رأينا الحزن يهيجها أكثر مما يهيجها الفرح • ولله أبو العلاء حين يقول[2] :

ان حزنا في ساعة الموت اضعاف سرورٍ في ساعة الميلاد

واذا اترانا نستطيع ان نقول : ان اول أغنية كانت هي تلك الاغنية التي تغنى بها المغلوب الحزين قبل ان يتغنى بها الغالب الظافر المنتصر وان اغاني الحزين ربما فاقت اغاني الظافر كثرة وجودة ؟

نعم انا أرى هذا ، ولكن الأمم - ولكن الانسان يحب ان ينسى ما يحزنه ، ويحب ان يتذكر ما يفرحه ويؤنسه ، ومن هنا احتفظ لنا بأغاني الظفر حتى توهّمناها اولى الاغاني - ومن هنا وصلت الينا أغاني الحرب عند الامم تحكي لتصور البطولة والغلبة ، ولا تحكي لتصور الهزيمة والخيبة • فالكلدانيون في العراق لهم اغاني ظفر ، ينشؤها الشاعر الذي يصحب الملك المحارب ، ليشيد ببطولته وبانتصاراته • والهنود لهم « المهابهارتا » ملحمتهم الكبرى وقد بنوها على الفروسية والحرب - وكتابهم « الفيدا » ، الكتاب المقدس عند الهندوس ، قد قام على الحديث بين المحاربين ، قالوا : ان السهول الفسيحة القريبة من بحر قزوين كانت في

(١) ديوان جرير طبعة الصاوى ص ٥٩٣ •

(٢) شروح سقط الزند السفر الثاني ص ٩٧٨ - مطبعة دار الكتب المصرية •

الماضي السحيق موطنا لطائفة من قبائل الرعاة وهاجر بعضها ... ، وراحوا يضربون في الأرض حتى اطلوا على الشمال الغربي من الهند ، حيث السهول الخصبة الفسيحة ، وهناك تلقاهم « الداسيون » سكنة تلك السهول ؛ تلقوهم بعنف المستميت يذود عن حياضه وكانت الحرب . هذه الحرب بين الآريين الغزاة وبين اهالي البلاد كانت مصدرا لطائفة كبيرة من الاساطير والاغاني والتراتيم والدعوات[1] .

وقالوا عن اليونان ان الشعر الغنائي قد نضج عندهم في نحو القرن السابع قبل الميلاد على اثر النزاع بين الاسبارطيين والمسينين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم ، وقد ذاقوا لذة النصر ومرارة الخيبة فجاشت صدور شعرائهم وانطلقت السنتها بالشعر .

والعرب كان شأنها في هذا شأن هذه الأمم ، حتى ان ابن سلام ذهب الى ان الشعر صنو الحرب[2] ، وانه لا يكثر في قوم لا تكثر حروبهم ولعل الذي اوحى اليه برأيه هذا انه نظر في الشعر الجاهلي فرآه قد قيل في الحرب وما يتعلق بها من خيل وسلاح وقتال ، واشادة بانتصار وتعيير بهزيمة ، وهجاء بجبن وخور ، وما الى هذا ما يقوله الغالب ، أو من رثاء وبكاء على قتيل واعتذار لهزيمة ونكوص ، وتوعد وتحفز لاعادة الكرة وادراك للثأر وما الى هذا مما يقوله المغلوب .

وبعد ، فالحروب والنكبات ، كانت ـ وما تزال ـ مبعث الشعر عند الأمم عامة وهي كذلك عند العرب . ولقد دارت أشعارهم الجاهلية على الحروب يهيجونها بينهم ، وما ان انعم الله عليهم بالاسلام واتحدت كلمتهم ، حتى صرنا نقرأ اشعار الحرب تدور على حروبهم مع الفرس والروم ، ثم رأيناها تدور على نكبتهم في الأندلس . وها نحن في عصرنا الحديث هذا

---

(١) قصة الادب في العالم جـ١/ ٤٠ .
(٢) انظر ص ١٠٢ .

نجد للشعراء العرب طائفة من الشعر تدور حول الحرب في فلسطين ثم نراها في « مأساة فلسطين » ، او « نكبة فلسطين » •

والفارق الكبير بين هذا الشعر والشعر القديم ، ان الشعر القديم كان في عامته تسجيلا لانتصارات الظافر ، ومرحه ونشوته ، وأن هذا الشعر الحديث قد صُبغ بسحابة قاتمة من الحزن ، بعثتها خيبة العرب ونكبتهم في فلسطين •

ايتها السيدات وأيها السادة • ان الامم ـ كما اسلفنا الآن ـ تحتفظ بأشعار الظفر والنصر ، ولا تحتفظ بأشعار الخيبة والهزيمة ، بل هي تحب ان تنسى اشعار الخيبة والهزيمة ، وتطمسها وتمحوها من ذاكرتها ، ولولا احساسنا الآن ان اشعار الخيبة هذه قد تحولت الى اشعار محفّزة ترك اهلها النواح ودبت فيهم روح المغلوب قد افاق من ضربته واستعاد قوته واحس أن الاوان قد آن ليعيد الكرة على خصمه ويثأر لنفسه ويستعيد حقوقه • لولا انني ارى هذا ، وأرى ان الحديث عن اشعار الخيبة والهزيمة يكون عاملا في يقظة العواطف وفي اثارة الهمم ، وفي حماسه النفوس لولا هذا لآثرنا ان نطوي الحديث عن هذا الشعر طياً وان ننساه ••• ونحن من أجل هذا نود اثارة الحديث عن هذه الحروب ، نود اثارة الحديث عنها بأبشع صورها ومظاهرها • نود ان نعيد الشعر لنصوّر المعركة ونبعثها بالنفوس ، نبعثها بابشع صورها ، ونثيرها وكأنها ما زالت قائمة وكأن المواطنين ما زالوا في وقدتها وفي اتونها وفي سعيرها •

مأساة فلسطين وأثرها في شعرها

١ ـ موقف حكومة الانتداب :

لقد كتبت الكتب الكثيرة عن فلسطين ، وان نظرة الى بعض عناوين هذه الكتب لتلقي ضوءً على قضية فلسطين وتطوّرها ، وتوحي بالروح التي أملتها على كاتبيها • ولا بأس ان أشير ـ قبل حديثي عن الشعر ـ الى بعض عناوين هذه الكتب •

بلادنا فلسطين[١] • الخطر اليهودي[٢] • الخطر الصهيوني[٣] • اضطهاد العرب في اسرائيل[٤] • سجل الارهاب الصهيوني[٥] • حكم الاسلام في قضية فلسطين[٦] • دفاع عن فلسطين[٧] • ثورة فلسطين[٨] • فلسطين الثائرة بين العرب واليهود[٩] • الثورة العربية الكبرى في فلسطين[١٠] • جهاد فلسطين العربية[١١] • فلسطين في المعركة[١٢] •

---

(١) تاليف مصطفى مراد الدباغ • القاهرة سنة ١٩٤٧ •
(٢) تاليف محمد خليفة التونسي • القاهرة ، سنة ١٩٥١ •
(٣) تاليف ابن العراق • القاهرة ، سنة ١٩٤٩ •
(٤) اعداد الامانة العامة لجامعة الدول العربية • القاهرة سنة ١٩٥٥
(٥) اعداد مصلحة الاستعلامات • القاهرة • سنة ١٩٦٣ •
(٦) اعداد الهيئة العربية العليا لفلسطين • القاهرة ، سنة ١٩٥٦ •
(٧) تاليف مندوبين عن دار الابحاث العلمية ورابطة فتيات الجامعة والمعاهد • القاهرة •
(٨) تاليف عبدالكريم العطار • القاهرة •
(٩) تاليف عبدالسلام حسني • القاهرة ، ١٩٣٩ •
(١٠) تاليف صبحي ياسين • القاهرة ، سنة ١٩٥٩ •
(١١) تاليف عمر ابو النصر وآخرين • يافا ، سنة ١٩٣٦ •
(١٢) تاليف فؤاد نصحي • القاهرة ، سنة ١٩٥٨ •

سيناء أرض المعارك[١٣] . فلسطين الدامية[١٤] . فلسطين الشهيدة[١٥] . شهيد فلسطين[١٦] . وطن الشهيد[١٧] . ارض الشهداء[١٨] . مأساة فلسطين[١٩] . كارثة فلسطين العظمى[٢٠] . النكبة ، نكبة بيت المقدس[٢١]. معنى النكبة[٢٢] . من أثر النكبة[٢٣] . بعد النكبة[٢٤] . ارملة من فلسطين[٢٥] . اللاجئون الفلسطينيون[٢٦] . اللاجئون الفلسطينيون ضحايا الاستعمار الصهيوني[٢٧] . طريق فلسطين[٢٨] . طريق العودة الى فلسطين[٢٩]. عائدون يا فلسطين[٣٠]. صوت الشعر في قضية فلسطين[٣١]. مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر[٣٢] . الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين[٣٣] .

ان عناوين هذه الكتب وحدها توحي للقارىء بسير القضية الفلسطينية ، وبتطورها ، وعندي انها ـ وحدها تبعث الحماس في الشاعر العربي وتهزه وتدفعه الى الاسهام في قضية فلسطين . وقد ساهم العرب ـ

(١٣) تأليف عبدالرحمن زكي القاهرة سنة ١٩٥٧ .
(١٤) اعداد جريدة الجزيرة . دمشق ، سنة ١٩٣٧ .
(١٥) تأليف عبدالكريم العطار . القاهرة .
(١٦) تأليف فوزي عبدالحميد . القاهرة .
(١٧) تأليف برهان الدين العبوشي . القدس ، سنة ١٩٤٧ .
(١٨) ابراهيم العريض .
(١٩) تأليف محمد عزة دروزة . دمشق ، سنة ١٩٥٨ .
(٢٠) تأليف فخري البارودي . دمشق ، سنة ١٩٥٠ .
(٢١) تأليف عارف العارف . بيروت ، سنة ١٩٥٦ .
(٢٢) تأليف قسطنطين زريق . بيروت ، سنة ١٩٤٨ .
(٢٣) تأليف محمد نمر الخطيب . دمشق ، سنة ١٩٥١ .
(٢٤) تأليف قدري حافظ طوقان . بيروت ، سنة ١٩٥٠ .
(٢٥) تأليف عبدالحميد جودة السحار . القاهرة ، سنة ١٩٥٩ .
(٢٦) اعداد يعقوب الخوري . القاهرة ، سنة ١٩٥٦ .
(٢٧) اعداد الهيئة العربية العليا لفلسطين . القاهرة ، سنة ١٩٥٥ .
(٢٨) تأليف علي ابو حيدر . بيروت .
(٢٩) تأليف صبحي ياسين . القاهرة ، سنة ١٩٦٠ .
(٣٠) تأليف فؤاد محمد شوقي . القاهرة ، سنة ١٩٦٠ .
(٣١) تأليف محمد صادق عرنوس . القاهرة ، سنة ١٩٦٥ .
(٣٢) تأليف صالح الاشتر . دمشق ، سنة ١٩٦١ .
(٣٣) تأليف كامل السوافيري .

والفلسطينيون منهم خاصة ـ في هذه الاحداث ، ولا عجب ، لا تحرق النار الا من يطؤها، ويبدو لي ان كل عنوان من عناوين هذه الكتب قد اتخذ منه الشعراء موضوعا لقصائدهم وقالوا فيه ، وبودي لو تتبعت هذه الموضوعات واحدا واحدا وعرضت لما قاله الشعراء فيها ، ولكني لا أرى هذا مما يمكن مثل حديثي هذا . واذا فلا بد لي من ان اكتفي بالاشارة الى أهم الاحداث التي هزّت الشعراء وأنطقتهم بالشعر الحار وسأتتبع الناحية التاريخية أو الزمنية في هذا .

موقف حكومة الانتداب :

في سنة ١٩٢٠ انهت بريطانيا أدارتها العسكرية ، وأقامت مقامها ادارة انكليزية مدنية . وعينت السير هربر صموئيل أول مندوب سام لفلسطين . وصموئيل هذا تقول عنه « ايثل مانين » الكاتبة الانكليزية : « انه صهيوني بارز دعا منذ سنة ١٩١٥ بمذكرة بعنوان « مستقبل فلسطين » الى هجرة ثلاثة أو اربعة ملايين من اليهود الى فلسطين تحت الحماية البريطانية » وفي ديوان الرصافي[1] ـ والرصافي شاعر العراق ـ قصيدة بعنوان « الى هربر صموئيل » يثني فيها على هذا اليهوديّ الاثيم . وفي مقدمة القصيدة ان الرصافي حضر محاضرةً دعاه اليها راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس القى فيها يهودا محاضرة ذكر فيها مدنية العرب ، وان صموئيل هذا وعد الحاضرين وعودا سياسية سرّ بها الحاضرون فاهتز الرصافي لمواعيده ، وسجل هذا بقصيدة رائية جاء فيها :

خطاب يهودا قد دعانا الى الفكر ... وذكّرنا ما نحن منه على ذُكْر
ولماننا هيَ من يهودا خطابه ... وقد سرّنا من حيث ندري ولاندري
تصدى له هربر صموئيل ناطقاً ... بسحر مقال جلّ عن وصمة السحر
وقال وقد أصغى له القوم اننا ... سنرأب ما أثأته منكم يد الدهر

(١) ديوان الرصافي ص ٤٣٢ الطبعة الرابعة .

ثم قال الرصافي :

حنانيك يا هربر صموئيل كم لنـــا ... على الدهر من حق مُضاع ومن وتر
فمن سامنا قسراً على الضيم يلقــ ... ـمصاعيب لا تعطى المقـــادة بالقسر
فان شئت يا هربر صموئيل فأختبر ... خلائق منا لا تميل الى الغـــــدر

وقـــال :

وعدت فأمسى القـــوم بين مشكك ... ومنتظر الإنجـاز منشرح الصـدر
فكذب ـ وانت الحر ـ من ساء ظنه ... فقد قيل : إن الوعد دين على الحر

وقامت قيامة الشعراء الشبان في فلسطين وتصدوا للرصافي يهجونـه على صفحات الجرائد[1] فأضطر لمغادرة البلاد • ومما يشار اليه في هذا قصيدة الشاعر وديع البستاني التي جاء بهـا على غرار قصيدة الرصافـي بحرا وقافية يقول وديع[2] :

خطاب يهوداً ام عجاب من السحر ... وقول الرصافي ام كُذاب من الشعر
وحقك ما أدري ، وادري ، وياليها ... مراوحــة بين الرصـافة والجسـر
وما من عيون للمهى تجلب الهوى ... بأرض بها عين الزمـان على الحر
ببغـداد يا معـرف بالارض بالسما ... بربك بالاسـلام بالشفع والوتـــر
قريضك من درّ الـكلام فرائـــد ... وأنت ببحر الشـعر أعلم بالــدر
ولكن هذا البحر بحر سياســـــة ... اذا مدّ فيه الحق آذن بالجـــزر
عهـــدناك عباسا بوجـــه أعـــزة ... فكيف لقيت الـذل بالعـز والبشر

(١) انظر كتاب الشعر الحديث في فلسـطين والاردن لصديقنـا الدكتور ناصرالدين الاسد ص ٩٨ •

(٢) المصدر السابق في الصفحة نفسها •

ولا نحب أن نجاوز هذا من غير أن نشير الى أن الرصافي كان معروفا بوطنيته اولاً وبكرهه للانكليز ثانيا ، ولكنه ـ على ما يبدوا لنا ، قد خُدع بأقوال يهودا وصموئيل وثنائهما على العرب واغرائهم بالوعود فاهتزت اريحيته ـ وهو الشاعر ـ فصدّق ما قيل . ونحن نجله أن يكون اسمه أول الخونة ، وان ساءنا ان يكون أول المخدوعين من الشعراء .

٢ - بيع الارض :

ومنذ أن صرح هربر صموئيل بمذكرته « مستقبل فلسطين » ورأى فيها أن يهاجر ملايين من اليهود الى فلسطين ، وأخذت حكومة الانتداب تمهد الهجرة لهؤلاء القادمين بالطرق المشروعة وغير المشروعة كان على اليهود المقيمين في فلسطين تهيئة الاماكن والاراضي للقادمين ، فأبتدأوا يغرون أصحاب الاراضي ببيعها . وابتدأ البيع ...

كان الفلاّح الذى يفلح أرضه ولا تدر عليه في العام الا بضع جنيهات يغريه أن يرى أرضه هذه يدفع فيها اليهود ـ وهم أهل المال ـ الالوف فيسارع الى بيعها .

هذه الحالة التي لم يسبق للعرب ان ابتلوا بمثلها هزت نفوس الشعراء وانطقتهم بالشعر .

يرى الشاعر ابراهيم طوقان ـ وهو أول شعراء فلسطين في هذا العصر ـ النهاية القاسية التي سيؤول اليها وطنه فلسطين فيقول[1] :

أمامك ايها العربي يوم ... تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتك .. لا تبالي ... بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الأداني ... وسار حديثه بين الأقاصي
فلا رحب القصور غدا بباق ... لساكنها ، ولا ضيق الخصاص

---

(١) ديوان ابراهيم طوقان ص ٢٨ .

ويستمع الى قول بعض اللبنانيين يحسدون أهل فلسطين على بيع أرضهم ، بل على بيع وطنهم فلا يملك الا ان يقول[1] :

يقولون في بيروت : أنتم بنعمة ... تبيعونهم تربا ، فيعطونكم تبرا
شقيقتنا مهلا ؟ متى كان نعمة ... هلاك ألوف الناس في واحد أثرى
وباذل هذا المال يعلم أنه ... يسلم باليمنى الى يده اليسرى
على أنها أوطاننا .. ما كنوزهم ... وأموالهم ؟ حتى تساوى بها قدرا
ولو كان قومي أهل بأس ونخوة ... اذن أصبحت للطامعين بها قبرا
ولكنهم قد آثروا السهل مركبا ... تسيره الاهواء واجتنبوا الوعرا

ثم انظر لحسرته هذه التي يحس بها أن وطنه يباع ، والى تعنيفه البائع الذي يذكره بان يبقي باعا من أرضه لمدفنه فيها ، يقول[1] :

باعوا البلاد الى اعدائهم طمعا
بالمال لكنما أوطانهم باعوا ...
قد يعذرون لو أن الجوع أرغمهم
والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
وبلغة العار عند الجوع تلفظها
نفس لها عن قبول العار رادع
تلك البلاد اذا قلت : اسمها « وطن »
لا يفهمون ، ودون الفهم اطماع

* * *

اعداؤنا ، منذ أن كانوا ، (صيارفة)
ونحن ، منذ هبطنا الارض ، (زراع)
لم تعكسوا آية الخلاّق ، بل رجعت
الى اليهود بكم قربي وأطباع

---

(١) انظر الديوان نفسه ص ٨٦ .
(٢) ديوان ابراهيم طوقان ص ٥١ وما بعدها .

٣ ـ حادث البراق :

وتوالت الاحداث • ففي سنة ١٩٢٨ في آخرها وقعت أول ثورة عمت البلاد • كان سبب الثورة (حادث البراق) والبراق عند المسلمين هو جدار المبكى عند اليهود • ان حكومة الانتداب رأت أن تبقى الاماكن المقدسة في فلسطين على نحو ما كانت عليه أيام العثمانيين • ولكن اليهود أرادوا الاستيلاء على جدار المبكى ، وقاموا بمظاهرات في تل أبيب ، قام على أثرها العرب بهياج ومظاهرات • وأبتدأت الثورة بالقدس وسرت منها الى مدن فلسطين الاخرى ، الى الخليل والى صفد والى يافا وحيفا وعكا ... وعمت القرى والمستعمرات اليهودية • واضطرت الحكومة ـ حكومة الانتداب ـ الى استقدام قوات من الخارج لكبح الثورة • وقدرت الاصابات بمئات من القتلى والجرحى من اليهود ومن العرب • وأصدرت المحاكم في فلسطين احكاما بالسجن على ثمانمائة عربي ، وأصدرت أحكاما بالاعدام على عشرين •

ونفذ حكم الاعدام في ثلاثة منهم في سجن عكه صبح الثلاثاء في يونيو سنة ١٩٣٠ •

هذا الحادث هز افئدة الناس • فنظم فيه الشاعر ابراهيم طوقان قصيدته « الثلاثاء الحمراء »[١] وقدم للقصيدة مقدمة مثيرة هيأ بها ذهن القارىء لاستقبال هول الحادث ، على نحو ما يفعل أهل الموسيقى التصويرية في تهيئة النفوس ، لاستقبال الحادث المثير المرعب ،وعلى نحو ما يفعل كتاب المسرحيات يهيئون لجو الجريمة بعبوس الطبيعة واثارة العواصف والرعود • واشار الى محاكم التفتيش اشارة خفيفة ، ولكنها تقدح في ذهن القارىء العربي صوراً مملوءة بالظلم والقسوة وعدم الانصاف • واشار الى الرقيق اسوده وابيضه واشار الى المحشر وصور المندوب السامي في فلسطين يُرتَجى عفوه على نحو ما يُرتجى خالق الناس ، ولكن عفوه ـ عفو المندوب السامي ـ بعيد •

---

(١) ديوان ابراهيم طوقان ص ٣٨ •

هذه الصور عرضها ابراهيم عرض الشاعر الموفق الذي يفصّل بعضها حيناً ، ويكتفي بالاشارة ـ ورب اشارة أبلغ من عبارة ـ حيناً آخر . ولو اقتصر في الحادث هذا على هذه المقدمة وحدَها لقلنا انه وفىّ وزاد . يقول :

لما تعــرض نجمك المنحــوسُ　　وترنحت بعرى الحبال رؤوس
ناح الأذان وأعــول الناقــوس　　فالليل أكدر ، والنهار عبــوس
طفقت تثور عواصف　　وعواطف
والموت حينا طائــف　　أو خاطف
والمِعولُ الأبديّ يُمعن في الثرى　　ليردّهم في قلبهــا المتحجــر

★ ★ ★

يومٌ أطلّ على العصــور الخالية　　ودعا : « أمر على الورى أمثاليه ؟»
فأجابه يومٌ : « أجل أنا راويــهْ　　لمحاكم التفتيش ، تلكَ الباغيــة
ولقد شهدتُ عجائبــا　　وغرائبــا
لكن فيك مصائبــا　　ونوائبــا
لم الق اشــباها لها في جورهــا　　فأسألْ سوايَ وكم بها من منكر »

★ ★ ★

واذا بيــومٍ راسفٍ بقيــوده　　فأجاب ، والتأريخُ بعضُ شهوده
« أنظر الى بيض الرقيق وســوده　　من شاء كانوا ملكــه بنقــوده
بشَرٌ يُباعُ ويُشترى　　فتحرّرا
ومشى الزمان القهقــري　　فيما أرى ...
فسمعتُ مَن منعَ الرقيقَ وبيعَه　　نادى على الأحرار يا مَن يشترى؟»

★ ★ ★

وإذا بيـوم حالك الجلبـاب .. متزنح من نشـوة الأوصـاب
فأجاب : « كلا ، دون ما بك مابي أنا في رُبى (عاليه) ضاع شبابي
وشـهدت للسفاح ما ابكى دما
ويـلٌ له ما أظلما لكنمـا ...
لم الق مثلكَ طالعاً في روعـة فاذهبْ لعلكَ أنت يومُ المحشر »

★ ★ ★

(اليومُ) تنكره الليالي الغابـرة وتظلُّ ترمقه بعين حائـرة
عجباً لاحـكام القضاءِ الجائـرة فأخفتها امثالُ ظُلم سائـرة
وطن يسـير الى الفناء بلا رجـاء
والـداء ليس لـه دواء الا الاباء ..
ان الاباءَ مناعةٌ ، إن تشتملْ ــ ــ نفس عليه تمت ولمّا تُقهـرِ

★ ★ ★

الكل يرجـو أن يكرّ عفْوُه ندعو له الاّ يكدّرَ صفوُهُ ..
ان كان هذا عطفُه وحنـوهُ .. عاشت جلالتُه وعاش سموُّهُ ..
حمل البريدُ مفصّلاً ما أجملا
هلاّ اكتفيتَ توسُّلاً وتسـوُّلا
والموت في أخذِ الكـلام وردّه فخذِ الحياة عن الطريق الأقصـر

★ ★ ★

ضاق البريدُ وما تغـيرَّ حالُ والذلُّ بين سـطورنا أشـكال
خُسراننا الأرواح ، والامـوالُ وكرامةٌ ــ ياحسـرتا ــ أسـمالُ
أو تبصرون وتسألونْ ماذا يكونْ ! ؟
ان الخداعَ لـه فنونْ مثلَ الجنونْ
هيهات ! فالنفسُ الذليلةُ لو غدتْ مخلوقةً من أعـين لم تبصـرِ

★ ★ ★

أنى لشاكٍ صوته ان يسمعا | أنى لباكٍ دمعه ان ينفعا
صخرٌ أحسَّ رجاءنا فتصدَّعا | وأنى الرجاءُ قلوبهم فتقطعا ..
لاتعجبوا ، فمن الصخورْ | نبعٌ يفورْ
ولهم قلوبٌ كالقبورْ | بلا شعورْ
لا تلتمسْ يوماً رجاءً عندَ مَنْ | جرَّبته فوجدته لم يشعرِ

وعرض للساعات الثلاث التي اعتلى فيها الابطال الثلاثة حبل المشنقة ، فتحدَّث عن كلٍّ منهم في ساعته[1] .

والقصيدة في جملتها تحمل روح القوة ، وتمجد البذل والفداء وتحث المواطنين على الاقتداء بالذين سلكوا الدرب ، درب تحطيم القيود ، درب الشرف والخلود .

ويظهر ان حادث الشهداء هذا كان حادثا لا ينسى ؟ فقد ظلَّ يأخذ من أنفس الفلسطينيين مأخذه كلما جاء العام بأيامه . وفي مقدمة[2] ديوان ابراهيم انه نظم قصيدته (الشهيد) في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء ، فخلدهم مرة أخرى ، واعاد الى نفوس اخوانه صور البذل . وقصيدة « الشهيد » هذه اولى القصائد التي يبدأ بها ديوان ابراهيم قال :

عبس الخطب فابتسم | وطغى الهولُ فاقتحم
رابط الجأش والنُّهى | ثابت القلب والقدم
لم يبالِ الأذى ولم | يثنه طارئُ الألم
نفسه طوعُ همةٍ | وَجَمَتْ دونها الهممْ
تلتقي في مزاجها | بالأعاصير والحمم

---

(١) انظر القصيدة في الديوان ص ٤٢ وما بعدها .
(٢) الصفحة ٢٦ من المقدمة .

تجمع الهائج الخضم الى الراسخ الأشم
وهي من عنصر الفدا ء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة لفحها حر الأمم

سار في منهج العلى يطرق الخلد منزلا
لا يبالي ، مكبلا ناله ام مجدلا
فهو رهن بما عزم

★ ★ ★

ربما غاله الردى وهو بالسجن مرتهن
لم يشيع بدمعة من حبيب ولا سكن
وبما ادرج الترا ب سليباً من الكفن
لست تدري بطاحها غيبته ام القنن
لا تقل أين جسمه واسمه في فم الزمن
انه كوكب الهدى لاح في غيهب المحن
أرسل النور في العيو ن فما تعرف الوسن
ورمي النار في القلو ب فما تعرف الضغن

اي وجه تهللا يرد الموت مقبلا
صعد الروح مرسلا لحنه ينشد الملا
انا لله والوطن

وعينت الحكومة ـ حكومة الانتداب يهوديا بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين فأمعن اليهودي الانكليزي في النكاية والكيد للعرب . وثقلت على العرب وطأته فكمن له أحد الشبان المتحمسين بمدخل

الحكومة واطلق عليه النار فجرحه. وقد أثار الحادث، شاعرية ابراهيم فنظم قصيدته الفريدة (الفدائي) مجّد فيها الفداء وصوّر فيها الفدائي الجريء بأبهى ما تكون الصور وجعل بحرها، هذا القصير النغمات، يوحي بنفس الفدائي تتقدّم بخطى ثابتة وئيدة .

وجعل من وقفته يرتقب بها خصمه وظالمه لحنا يتكرر في القصيدة . وختم القصيدة به ليجعله اخر الصور التي تبقى في ذهن سامعه أو قارئه . والقصيدة نشرت في جريدة « البرق » البيروتية في حزيران ١٩٣٠ وعلّق عليها الاستاذ بشاره الخوري « الاخطل الصغير » بقوله : (اتعرف شيئاً عن الشاعريّة المتوثبة التي تجيش بها النفوس الظمأى الى حرّياتها ؟ أتعرف شيئاً عن البلاغة تطلقها الشفة الملتهبة دما ونارا ؟ تعرَّفْ عليها اذن[1] :

لا تسل عن سلامته	روحه فوق راحته
بدّلته همومُه	كفناً من وسادته
يرقب الساعة التي	بعدَها هولُ ساعته
شاغلٌ فكر مَن يرا	ه بإطراق هامته
بين جنبيه خافقٌ	يتلظّى بغايته
من رأى فحمْة الدجى	أُضرمتْ من شرارته
حمّلته جهنمٌ	طَرَفاً من رسالته
هو بالباب واقف	والردى منه خائف
فاهدأى يا عواصفُ	خجلاً من جرأته

صامتٌ لو تكلّما	لفظَ النار والدّما
قل لمن عاب صمته	خُلق الحزم ابكما

(١) الديوان ص ٦٥ .

واخو الحزم لم تزل يده تسبق الفما
لا تلوموه ، قد رأى منهج الحق مظلما
وبلادا احبها ركنها قد تهدما
وخصوما ببغيهم ضجت الأرض والسما
مر حين ، فكاد يقتله اليأس انما ...

هو بالباب واقف والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصف خجلاً من جرأته

ثورة فلسطين الكبرى :

وعاشت فلسطين أعوامها الثلاثين ، وهي الفترة التي ابتدأت عام ١٩١٧ في احتلال الانكليز وختمت بعام ١٩٤٧ وهو العام المشئوم الذي اغتصبت به فلسطين بحكومة اسرائيل ، حكومة اليهود . عاشت فلسطين اعوامها الثلاثين هذه بقلاقل وثورات متصلة شملت الحياة والناس . وكانت هذه القلاقل تبدو بصور فردية متفرقة وتكبر فتشمل القرية والمدينة وتدوم اياما واسابيع أو اشهر وتنفجر بصورة جماعية تشمل البلاد قراها ومدنها ، كالذي حدث في ثورة ١٩٣٦ الثورة الفلسطينية الكبرى التي امتدت نحوا من ثلاثة اعوام وقد بلغ عدد الشهداء فيها ثلاثة الاف وعدد الذين اعدموا شنقا مائة وخمسين ، وزاد عدد الذين سجنوا على الخمسين الف ، وزاد عدد الذين سجنوا سجناً مؤبدا على الالفين . وبلغ عدد الذين استقدمتهم حكومة الانتداب من الجنود من الخارج خمسين الف جندي لاخماد الثورة .

لقد عمت الثورة الناس وشارك فيها الفلاح والتاجر . واشترك المثقفون من الكتاب والشعراء والصحفيين بالجهاد وقالوا فيه الشعر ، واشتشهد الكثير منهم في المعارك .

هذا الشاعر عبدالرحيم محمود صديق ابراهيم طوقان ، يتخرّج في « كلية النجاح » ، ويعين شرطياً في حكومة الانتداب ، ويطلب اليه ان يطارد احد المجاهدين الثوار ، فتأبى عليه وطنيته هذا فيستقيل من عمله . وتنشب ثورة ١٩٣٦ هذه الثورة الفلسطينية الكبرى فيلتحق بصفوف المجاهدين ويلحّ عليه بالمطاردة فيهرب الى العراق . ويدعوه داعي الجهاد لمقاومة الدولة اليهودية في بلده فيلتحق بجيش التحرير ويخوض المعارك ويستشهد في « معركة الشجرة » بمنطقة الناصرة . هذا الشاعر يحض على الثورة ويقول من قصيدة له عنوانها (دعوة الى الجهاد) :

دعا الوطن الذبيح الى الجهاد ... فخفّ لفرط فرحته فؤادي
وقلت لمن يخاف من المنايا ... أتفرق من مجابهة العوادي ؟

انقعد والحمى يرجوك عونـــا ونجبن عن مصاولة الأعـــادي

بني وطني دنا يــــوم الضحايا اغرّ على ربـا ارض المعـــاد
ابيروا للنضال الحـــقّ نارا تصبّ على العدا في كـل وادي
فليس احط من شعب قعيـــد عن الجلّى وموطنـــه ينـادي

ونجد القصائد الكثيرة في الحض على الثورة حتى لا ندري أيهـــا نختار ، والى ايها نشير • يقول الشاعر برهان الدين العبوشي :

لهفي على الليث المهد د غابـــه قد كان اجدر ان يموت بغابـه
فلتمش للموت الزؤام كماشي جيش النبي بشـيبه وشـــبابه
فالمجد لا يُبنى بغير جماجـــم والمجد تحميه سيوف غضابـــه

ويكثر الشعر الذي يشير الى (جبل النار) وهو لقب لجبل نابلس ، المؤلف من سلسلة جبال دارت فيها المعارك الكثيرة بين المجاهدين والقوات البريطانية سنة ١٩٣٦ • والى هذا الجبل يشير الشاعر ابو سلمى بقصيدة عنوانها (جبل النار) يخاطبه فيها ، ويحيي الثوار فيه :

جبل النار يا اعز الجبـــــال انت لا زلـت معقـد الآمـــال
يفصح الصخر عن شـــمائل ابنا ئك فوق اللظى وعند النـــزال
ايها الثائرون في جـــبل النـا ر سلاما يا زينة الأبطـــــال
ايها الثائرون قولوا فان الكـون يصغـــي الى لهيـب المقـــال
جبل النار زأرة تجعل الدهـر يحيّـــى محـــطّم الأغـــلال

ويقول الشعراء في الحرب ، وفي القتلى • وللشاعر عبدالرحيم محمود

قصيدة بعنوان (الشهيد) يقول وكأنه ـ يرحمه الله ـ يتحدث عن نفسه :

ساحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق ... واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان ... ورود المنايا ونيل المنى
وما العيش ؟ لاعشت إن لم اكن ... مخوف الجناب حرام الحمى

لعمرك اني أرى مصرعي ... ولكن أغذ اليه الخطى
ارى مقتلي دون حقي السليب ... ودون بلادي هو المبتغى

لعمرك هذا ممات الرجال ... ومن رام موتا شريفاً فذا
فكيف اصطباري لكيد العدو ... وكيف احتمالي لسوم الأذى
أخوفا ! وعندي تهون الحيا ... ة وذلاً ! واني لرب الابا
بقلبي سأرمي وجوه العدا ... ة فقلبي حديد وناري لظي
واحمي حياضي بحد الحسام ... فيعلم قومي بأني الفتى

والشعر كما قلت في هذا الباب كثير كثير ، وربما كان في اسماء دواوين الشعراء وما نظموه من مسرحيات شعرية ما يغني عن الاستشهاد به • فللشاعر عبدالكريم الكرمي ابي سلمى مسرحية شعرية عنوانها (الثورة) والشاعر برهان الدين العبوشي يسمى ديوانه (جبل النار) وله مسرحية شعرية عنوانها (وطن الشهيد) وللشاعر هارون هاشم الرشيد (ارض الثورات) و (غزة في خط النار) •

حديث اللاجئين :

والحديث عن اللاجئين هو الصبغة التي اصطبغ الشعر الفلسطيني عامة • وصور هذا الحديث ما زالت تكثر وتتكرر وتتردد وهي معين لا ينضب من صور البؤس التي لاتعرف الحدود ، ولا شهد شعب في القديم ولا في الحديث مثيلا لها • لقد هزت هذه الصور شخصيات انسانية بعيدة عن العرب في الجنس واللغة والدين ، وانطلقتهم حين رأوها بما يبعث الهم ويسيل الدمع • اذكر على سبيل المثال الصحفي السويدي Per-olow Anderson بير اولو اندرسن الذي زار اللاجئين في معسكراتهم قبيل حرب السويس ، وحدّث انه كان من الموالين لليهود في بلده ، وممن اعانوا على تهريب اليهود خوف العدوان النازي ، هذا الكاتب سجل حياة اللاجئين بصور التقطها بالة تصويره ، وقدم لها مقدمة باكية نادى فيها الضمير الانساني وطلب العون والنجدةلهم[١] •

هذه هي حالة غريب كان مواليا لليهود بعيدا عن اللاجئين لغة وجنسا ودينا ، فما بالك بالعربي يرى اللاجئين بين سمعه بصره وتربطه بهم الروابط • ثم ما بالك بالشاعر يعيش مع اللاجئين ويكون هو نفسه لاجئا معهم ، وواحدا منهم !؟

ان الصور الشعرية التي نقرأها في الحديث عن اللاجئين هي نسيج وحدها ، ولا نكاد نعرف لها مثيلا في اشعار امة قديمة ولا حديثة بين الامم ـ يقول الناعوري[٢] •

خيامنا تمـلأ رحـب الفضا
وقوتـنا لقمـة احسـان

---

(١) كتابه طبعة
they are Human Too   Chicago, Illinois 1957
وانظرنا حديثنا عنه بمجلة الاقلام العدد الثاني •

(٢) الشعر الحديث في فلسطين والاردن ـ الدكتور ناصرالدين الاسد ص ٢٨٨ •

اذلـة نحـــن ، وأوطانـــا
يمرح فيها خصمنا الجـــاني

* * *

ستة اعوام تقضـــت على
مأساتنا الكـــبرى وتشـــريدنا
لا اللد » والرملة « قد عادتـــا
لتسمعا وقـــع اغاريـــدنا

وخليل زقطان شاعر لاجيء يحيا مع اللاجئين حياتهم ، فيغفر بآلامهم واحزانهم ، ويكفيك منه انه يسمى ديوانه « صوت الجياع » ويقول فيـه : « وليس الكتاب سوى صورة لما اشعر به ويشعر به سواي ممن اساكنهم واعايشهم ، وممن كانوا الضحية على المسرح الـدامـي الذي مثل عليه الاستعمار دوره » استمع اليه يصحـو في خيمته ، خيمة اللاجـيء ، وينظر حوله ، فيهدهد احزانه بشعر اقرب الى البكاء منه الى الكلام ، يقول من قصيدة عنوانها (قسماً بجوع اللاجئين) بديوانه « صوت الجياع »(١).

أنا في ظـلال الواقـــع المشـــحون بالارزاء أحيـا
انـا رغـم الآمـي الجسام غـدوت أطـوى اليأس طيّاً
واقـــود آمـــالـي على اشـلاءِ حُلم كـــان غيّـــا

* * *

انا قـد صحوت على الجراح تسيل من بعضي لبعضي
انا قد صحوت واذ انـا ملقىً بـارضٍ غـير ارضي

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري ص ٤٧٤ .

انا قد صحوت على العروبة تزدري جهرا وتغضي
انا قد نظرت المستجير واد به ـ يا قوم ! ـ عرضي

* * *

وهارون هاشم الرشيد يسمي ديوانه الاول « مع الغرباء » ومن الغرباء هؤلاء غير اللاجئين !؟ وهو يتخير ساعات المطر في الشتاء ، فيمعن في تصويرهم بما يستثير به القلوب المتحجرة ويعرض في احدى قصائده حالة الطفلة اللاجئة تسأل اباها الهرم بما تحسه ويحسه كل لاجيء .

اتت ليلى لوالدها ... وقد اهوى به الهرم
وقالت ، وهي من لهف ... بها الآلام تحتدم :
لماذا نحن يا ابتي ... لماذا .. نحن اغراب ؟
أليس لنا بهذا الكو ... ن اصحاب واحباب ؟
أليس لنا اخلاء ... أليس لنا احباء ؟
لماذا .. نحن يا أبتي ... لماذا .. نحن اغراب ؟

يمر العام اثر العا ... م يا أبتي .. بلا جدوى
فلا امل ، ولا بشرى ... ولا نجوى . ولا سلوى
سوى الآلام والشجن ... سوى الأحزان والمحن
سوى صوت من الأقدا ... ر يهتف دائما : وطني
لماذا .. نحن يا أبتي ... لماذا .. نحن اغراب ؟

لماذا .. نحن في سقم ... وفي بؤس وفي فقر
نظل نتيه جوا بين من قطر الى قطر ؟
اما كانت لنا ارض ... بها الآمال تخضر ؟

وفيها ترقص البشـــرى ويشدو فوقها الطـــير
اما كان لنـــا وطـــن يسبّح باسمه الزمـــن ؟
لمـــاذا •• نحـــن يا ابتي لماذا •• نحن اعـراب !؟

ويعرض الشاعر معين بسيسو لحال اللاجئين في مثل الوقت الـذي تخيره هارون هاشم الرشيد لتصويرهم فيسمي قصيدته : « السيول » ويملؤها بالصور المرعبة المثيرة يملؤها بصور اللاجئين حيّة وميتة ، وبهـا تصـور القسوة بأغلظ صورها وابشعها • ان السيل يكتسح خيمة اللاجيء التي بليت فتنحدر معه ، ولا يظل منها غير الحبل والوتد ، اما اللاجيء فيموت وهو يشد على رغيفه بيده • انه الجوع وانه الموت :[1]

لم يترك السيل غير الحبل والوتد من ذلك الشعب او من ذلك البلد
وغير بعض العرايا السّاحبـين على تلك الوحول بقاياهـم من الوَلَـد
وغير ما شاهدتْ عيناكِ من جُثثٍ منفوخةٍ لم تزل مجهـولة العَدد
هنا حُطامٌ ، هنا موت ، هنا غَرَقٌ هنا بقـــايا رغيفٍ عالـقٍ بيـد
هنا العيون التي تصطـــكُّ ميتةً هنا الشفاهُ التي تدعو لثأر غـــد

تلك البقية من شعبي ومن بلـــدي ما بين باك ومجنـون ومرتعـــد
تلك البقية من شعبي فذاك ابـــي وتلك امي ••• وما في الخيش من احد
ان جئت تسأل عن اطفالها صرخت وقهقه السيل : « لم تحبل ولم تلد! »
يا من نصبت لهم سود الخيام على صفر الرمال لقد غاصت الى الأبـد

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ •

كان للخيمة في نفوسنا صورة جميلة حبيبة الى كل نفس ، انها ملجوء البدوي وبيته الذي يأوي اليه ومن منا لا يحفظ ابيات زوج الخليفة معاوية بن ابي سفيان تتشوق بها الى خيمتها التي تفضلها على قصور الخلافة في الشام ، وتقول :

لبيت تخفق الأرواح فيه

احبّ اليّ من قصر منيف

ومن منا لا يهزه قول جرير الى خيام احبته[1] :

متى كان الخيام بذى طلوح　　سقيت الغيث ايتها الخيام
تغالى فوق اجرعك الخزامىُ　　بنورٍ واستهل بك الغمام

هذه الصورة ، صورة الخيمة القديمة الحبيبة الى نفوس العرب بما دار عنها في شعرهم القديم احالها اللاجئون الشعراء الى صورة مخيفة ، بشعة ، كريهة ، وتحدثوا عنها باشعارهم فصوروها بابشع الصور . يقول الشاعر رجا سمرين من قصيدة عنوانها (خيام اللاجئين)[2] .

وصمة انت في جبين الدهور　　يا خياماً في القفر مثل القبور
يا نشاز الأنغام ، يا سُبّة التأريخ والناس في جميع العصور
انت مأوىً للبؤس شيّدك الظلم على رسم حقنا المهدور
انت سفر الآلام سطّره البغْى بأيدٍ مخضوبةٍ بالشرور .

---

(١) ديوان جرير طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة ص ٥١٢ .
(٢) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري ص ٤٧٤ .

كم حوى نسجك الارثُ عزيزا يسفح الدمع في دجى الديجور
رائيا عيشه الكريم وعهـــدا قد قضاه منعّماً في القصـــور
يوم أن كان في الديار كريمـا يَترع الكأس من مُدام السرور

ويقول الشاعر كمال ناصر بقصيدة عوانها (خيمة) في (جـراح تغني) وهو عنوان ديوان الشاعر[1] :

حيرى على اوهامها في المـــدى
لا حب في سمائهـــا لا حنـــان

مشـدودة في الأرض معصـــوبة
كأنما شُدت بايـــدي الهـــوان

اكفانها مُشـــرعة للـــردى
تطوى جراحات الردى في امـــان

يا خيمةً اعـــرفها في الأســـى
فات عليها في الرجـــوع الأوان

النار في ارجائهـــا أُخمـــدت
وفي زواياها تلاشى الدخـــان

(١) جراح تغني ـ كمال ناصر ص ١١٩ ـ ١٢٠ طبعـة بـيروت سنة ١٩٦٠ .

والهم من يأس بها مطرق
يحصي عليها في العذاب الثوان

يجترّ من تأريخها راوياً
ما كان من مجدٍ لديها •• وكان

يا خيمتي السوداء ظلي هنا
ذكرى على أشلاء حكمٍ جبان !!

الحنين الى الوطن :

واذا نحن جاوزنا الحديث عن اللاجئين الى الحديث عن الوطن ، والحديث في هذا قد يكون بعض الحديث من ذاك . ان اللاجىء لا يكاد ينظر في خيمته وفيما هو فيه من فاقة وبؤس وتعاسة الا وتسرع الى خاطره صورة بلدته او قريته ، ويتذكر معها داره وحارته ورفاقه . والحنين الى الوطن رأيناه يكثر في أشعار المهاجرين من لبنان الى الدنيا الجديدة . ان بعضهم يعيش في نعيم هناك وقد خلف الشقاء والفقر في وطنه ، وهو يحسب مواطنا هناك له حقوق المواطنين . ثم هو – بعد هذا – حر في زيارة بلده والرجوع اليه متى شاء ، ومع هذا فلهم في اشعارهم حنين يبعث الشجن ويهيج النفوس . واذا كانت هذه حال المهاجرين فما بالك باللاجئين يعيشون في الخيام ، يعيشون في البؤس وقد خلفوا النعيم في بلدهم !؟ وقد يبصر بعضهم قريته ومزرعته غير بعيدة عنه ، وينظر اليها ينعم بها عدوه فيتحسر ويتذكر كل شجرة زرعها وكل غرسة غرسها وسقاها هناك .

ان الحنين الى الوطن يطغى على اشعارهم ونرى الصور يخيل الينا أنها لا تهيج الحنين ولا تذكر بالوطن ، فاذا بها تنكأ جرح الشاعر الغريب . يرى شاعرهم الطائر يطير فيتوهمه قادما من بلده فلسطين او عائدا اليها . ويرى البرتقالة فتذكره بأشجار مزرعته وبلدته[1] . وشعرهم في هذا يمس شغاف القلوب .

ومن ذا الذي لا يشجيه ان يسمع الأستاذ الشاعر محمود الحوت . لقد طوف بالدنيا وصورة « يافا » تتعلق بقلبه ونفسه ، وتدور معه حيث دار ، فيحن اليها حنين اليائس الحزين ، يقول[2] .

يافا ، لقد جفّ دمعي فانتحبتُ دماً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ متى أراك ؟ وهل في العمر من امد ؟

---

(١) جراح تغني ص ٤٨ .

(٢) الشعر الحديث في فلسطين والاردن – الدكتور ناصرالدين الاسد ص ٢٤٩ .

امسي واصبح ، والذكرى مجددة محمولة في طـوايا النفس للأبد
كيف الشقيقات ؟ واشوقي لها مُدُنا كأنها قطـع مـن جنة الخُلد
ما حالها اليوم يا يافا ؟ وهل نعمت من بعد ان سُلِّمت امساً يداً بيدا
وكيف من قد تبقى في مرابعهـا وقد تركناه فيها تـرك مفتحد
ما بال قلبي اذا ما سرتُ من بلد وجدتُه هازئـا بالعيشة الرغـد

ثم انظره في هذا اليأس القاتل الذي يختم به ابياته :

تعبتُ ، لكنني ما زلتُ في تعبي اشكو الى الله لا اشكو الى أحد !

ويثار الحنين الى الوطن بقبرة يراها الشاعر يوسف الخطيب ـ وهو شاعر لاجيء بدمشق ـ فيتوهمها تتخطى الحدود الى بلده ، وتستطيع ذلك ولا يستطيعه هو[1] .

ويرى العندليب مقبلا من الجنوب فيتوهمه مهاجرا مثله من بلـده فلسطين ، فيقول[2] :

أتراك مثلي يا رفيق تمر في الزمـن
عبر المهالك والليالي السود والمحـن
لكأن في عينيك بعض اللمح من وطني
واكاد المح في وجومك لون مأساتي
جرحي ، وملحمتي وتشريدي وآهـاتي

بي لهفة يا صاحبي مشبوبة النـار
هل بعض اخبار تحدثها واسـرار

(١) المصدر السابق ص ٢٩١ .
(٢) مأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر للدكتور صالح الاشتر ص ٣٥ .

للظامئين على متـــاه الوحشـــة العاري
كيف الحقول تركتهـا في عـرس آذار
ومتى لويت جناحك الزاهي عن الـدار
عجبا ! تراك اتيتنا من غـير تذكـار

لوقشة مما يـــرف ببيـدر البلـد
خبأتها بين الجـناح وخفقـه الكـبد
لو رملتان من المثلـث اوربا صـفد
لو عشبة بيد ومزقه سوســن بيـد
اين الهدايا مذ برحت مرابـع الرغـد
ام جئت مثلي بالحنين وسورة الكـمد

ماذا رحيلك ايهـا المتشـرد الباكي
عن ارض غابات الخيال وفوحها الزاكي
ام ان مرج الزهر اصبح قفر اشـواك
وتلونت انهارهـا بنجيـع سـفاك
داري ! وفي عينيَّ والشفتين نجـواك
لاكنتُ نسل عروبتي ان كنت انساك !

او تستمع اليه في حنين الشاعر برهان الدين العبوشي الى بيسان وقد حجبتها مستعمرات اليهود عن ناظره يقول :

بيسان ! قد سدّت سبيلك دوننـا مستعمرات الخبث والبهتـان
حجبوك عن عين المحب وطوّقوا ارجـاءك الغنّـاء بالأكفـان
يا حسرتا للحيِّ ينظـر قبـره وبتيه حافـر قبـره بأمـان

ومن الصور القريبة من الحنين الى الوطن ، صور الشعراء يودعون اوطانهم – وهم يدفعون عنها – بحسراتهم . يقول الشاعر اللاجيء خالد نصرة وهو يدفع للخروج من بلده[1] :

فارقته ويدي تغفو على كبدي ... في لوعة ، واليد الأخرى تحييه
ومهجتي بين اضلاعي مرفرفة ... كالطير قد شكه بالسهم راميه
وسرت .. لست اظن الله يغفر لي ... – وان شقيت به – مما يعانيه
ممّا أراه ، ومما لست ابصره ... في كلّ باع وشبر من أراضيه
من كل « لاجئة » لاذت بخيمتها ... تناشد القلب ان يخلو لماضيه
وتذرف الدمع والشكوى تكفكفه ... وتنشر الأمس في بطء وتطويه
من كل طفل تراءى من ابيه له ... وجه يكاد غبار الشك يخفيه

ويقول هارون هاشم الرشيد في وداع « غزة » بعد العدوان الاسرائيلي عليها :

اوداعا ..؟ فيم يا غزة بالله الوداع
وانا منك .. تراب وشعور و التماع
وحنين للغد المرموق .. شوق والتياع
انا ، ان ودعت مغناك تلقاني الضياع

ها هنا في كل شبر ذكريات ورغاب
واماني عاطرات .. واغاريد عذاب
ها هنا كان صبانا وهنا كان الشباب

---

(١) الشعر الحديث ص ٢٠٢ .

وهنا كم اسلس الهمس حدينا مستطـاب
فلماذا يايد الفرقة ! ما هذا العـذاب !؟

ووداعا كان يا غزة من غـــير كـــلام
عبر الصمت به عن كل حسن وســـلام
دونما ترتعش الكلمة في هجس الظلام
ومع الفـجر تسللت كطيـــف مستهام
تاركا خلفي ايامي وعمري والغـــرام
تاركا كل امانـيَّ واطيـــاف الهيـــام
تاركا « غزة » خلفي ..تحت استار القتام

واخر الصور التي نراها في هذا الشعر الذي نتحدث عنه ، صـــور مشرقة مملوءة بالحنين ولكنها مملوءة بالقوة ايضا • اننا نجد روح الكآبة الميتة وروح اليأس القاتل تختفي منها وتطل منها صور الامل المشرقة في استرداد الحق المغصوب والوطن السليب • ونلمحـــها في اسماء الشعراء ودواوينهم وفي عناوين قصائدهم ، وفي محتويات القصائد ، وفي الروح التي تكتب بها • فالشاعر هارون هاشم الرشيد يسمي ديوانه « عودة الغرباء » والشاعر يوسف الخطيب يسمي ديوانه « عائدون » والشاعر على هاشم الرشيد يسمي ديوانه (اغاني العودة) والشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي تسمي ديوانها (العودة من النبع الحالم) •

هذه الروح دبت في الشعراء بعد النهضة الاخيرة والانقلاب الاخير الذي بدأ في مصر ، ثم سرت روحه وشرارته ، تطوف في مغرب العالـم العربي وفي مشرقه • وصرنا نرى في قصائد الشعراء صـــور الحنين الى الكفاح • وابيات الشاعر هارون هاشم الرشيد تصلح ان تكون عنوانا لهذه الـــروح :

من الكهف والخيـــمة الباليه　　سأجمع للثـــأر أشـــلائيه
سأجمع أهلـــي واصحـــابه　　واصرخ من عمق اعماقيـــه
وارسلها صيحـــة داويـــــة　　وادعـو الى الجـــولة الثانية

ونرى الشاعر عبدالكريم الكرمي ، ابا سلمى يجعل عنوانا لقصيدته لفظة : (سنعود) وبها يحن حنين المشتاق يتأهب لاسترداد حقه ويقول :

فلســطين الحبيبة : كيف اغفو　　وفي عينيّ اطيـــاف العـــذاب
اطهّر باسمك الدنيا ولـــو لم　　يبرح بي الهوى لكتمت ما بي

تمرُّ قوافل الأيام تروي ... مؤامرة الأعادي والصِّحاب
خيانات الملوك وذلَّ عرشٍ ... اقيم على الخيانة والخراب
سعدنا في البلاد وحين سادوا ... غدت مرعى الثعالب والذئاب

فلسطين الحبيبة كيف أحيا ... بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات ... وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني الشواطي باكيات ... وفي سمع الزمان صدى انتحاب
تناديني الجداول شاردات ... تسير غريبة دون اغتراب
تناديني مدائنك اليتامى ... تناديني قُراك مع القباب
ويسألني الرفاق : ألا لقاء ؟ ... وهل من عودةٍ بعد الغياب ؟
اجل ، سنقبل التُرب المندّى ... وفوق شفاهنا حُمر الرغاب

غدا سنعود والأجيال تصغي ... الى وقع الخطى عند الإياب

نعود مع العواصف داويات ... مع البرق المقدّس والشهاب
مع الرايات دامية الحواشي ... على وهج الأسنَّة والحِراب
ونحن الثائرين بكل ارض ... سنصهر باللّظى نير الرقاب
تذيب القلبَ رنَّةُ كلِّ قيدٍ ... ويجرح في الجوانح كلُّ ناب
اجل ستعود آلاف الضحايا ... ضحايا الظلم تفتح كلَّ باب

ونلمح هذه الروح الثائرة ايضا في قصيدة الشاعر يوسف الخطيب يصور فيها اللاجىء يعود من خيمته ، خيمة اللاجئين وقد خف على صوت النفير الداعي الى المعركة ، يحمل بيده حفنتي تراب من وطنه تكونان ذكرى معه ، ويستقبل الموت راضيا باسما ، يقول :

يقولون : كان فتى لاجئاً ... الى خيمة في الربى مُشْرعه

تطـــل بعيداً وراء الحـــدود على الجنة الخصبة الممرعه
وكانت له ذكــريات هنــاك مجنحة ، حلوة ، ممتعـــة
وملهى صباً شاعري الدروب وكوخ يطل على مزرعـــة
يعيش على حلـم امس الذي تولى ، ويقسم ان يرجعـــه

يقولون ، كـــان يرجي انمـــات الى يوم ثار .. الى موقعـــه
وكان نداء وكان نفـــير واســـلم الله مـــا أودعـــه
يقولـــون : لما هـــوى مثخنـــاً وشد على جُرحـــه أضلعه
تلفت ملء الـــربى والوهــــاد يحدق في وطــــن ضيَّعه
واغرز كفيـــــه في حفنتي تراب تكونان ذكـــرى معـه

ومأساة فلسطين هذه هي التي أقتصرنا بها على الحديث في شـعر اهل فلسطين خاصة قد جاوزتهم الى البلدان العربية والاسلامية جميعا واسهم فيها الشعراء من كل بلد ، وربما كان اهل المهجر امثال ابي ماضي والياس فرحات وصيدح وغيرهم ، من اكثر الشعراء احساسا بهذا . ولعل ابتعادهم عن وطنهم وحنينهم اليه هو الذي جعلهم ينظرون الى الموطن نظرة اعمق مما ينظرها المواطنون يقيمون في بلدهم ولا يحسون بطعم الغربة ولوعتهـا . ان الصحة لا يحسها الصحيح ولكنه العليل هو الذي يتوق اليها ويعـرف طعمها .

وجاوزت مأساة فلسطين اثرها الى غير العرب وغير المسلمين وقـد بينت ان الكاتب السويدي **بير اولو اندرسن** Per-Olow **Anderson** نشر كتابا مصورا عنهم . ونظرة في الكتاب تثير في نفس الناظر ما تعجز عن اثارته احـر القصـائد . وكتبت الـكاتبة الانـكليزية ايثل مانن Ethel Mannin

قصة طويلة عنهم بعنوان « الطريق الى بئر سبع » وصورت بها فداحة المأساة وهولها ...

وهكذا ترى ان مأساة فلسطين هذه لم تعد مأساة قومية او عنصريه او دينية ، ولكنها مأساة انسانية لم تبتل البشرية بمثلها من قبل . وعسانا نعاود الحديث عن أثرها في غير العرب من الادباء في فترة اخـــرى قريبة ان شاء الله .

مراجع البحث

التي اشير اليها في اسفل الصفحات

١ ـ معجم البلدان ـ لياقوت الحموي طبعة لايبزج سنة ١٩١٤

٢ ـ تفسير الطبري ـ للطبري

٣ ـ روح المعاني ـ للألوسي

٤ تفسير مجمع البيان ـ للطبرسي

٥ ـ تفسير الكشّاف ـ للزمخشري

٦ ـ مقال البرفيسور آرنولد توينبي ـ طبعته مترجما الامانة العامة لجامعة الدول العربية ـ دار الطباعة الفنية بالقاهرة

٧ ـ الطريق الى « بئر سبع » ايثلماننن

٨ ـ هم بشر ايضا ـ پير اولو اندرسون شيكاغو سنة ١٩٥٧

٩ ـ التربية في الشرق الاوسط ـ الدكتور ماتيوز والدكتور متي عقراوي

١٠ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ـ الدكتور ناصرالدين الاسد طبعه معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٦١

١١ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٦٤

١٢ـ مأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر ـ الدكتـور صالح الاشتر مطبعة جامعة دمشق سنة ١٩٦١ ٠

١٣ـ الوصف في شعر العراق ـ الدكتور جميل سعيد مطبعة الهلال ببغداد سنة ١٩٤٨

١٤ـ قصة الادب في العالم ـ الدكتور احمد امين والدكتـور زكي نجيب محمود

١٥ـ شروح سقط الزند ـ للمعري طبعة دار الكتب المصرية

١٦ـ طبقات الشعراء لابن سلّام الجمحي

١٧ـ العمدة لابن رشيق ـ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧
١٨ـ الكامل لابن الاثير
١٩ـ ديوان جرير طبعة المكتبة التجاريه بالقاهرة
٢٠ـ ديوان الرصافي الطبعة الرابعة
٢١ـ ديوان ابراهيم طوقان طبعة بيروت سنة ١٩٥١
٢٢ـ ديوان كمال ناصر « جراح تغنّى » طبعة بيروت سنة ١٩٦٠
٢٣ـ قائمة بالكتب والمراجع عن فلسطين والاردن مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٤ .
٢٤ـ مجلة الاقلام ـ وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ـ العدد الثاني والعدد الثالث

الفهرست